رسولهِ ثم رأينا تعملون بموجبهِ ولا خلافه واعتمدوه غاية الاعتماد في ١٠ شوال سنة ١١٦٠ الموافقة للسنة اعلاه م (مكان الختم)

وفي سنة ١٧٤١ توجّه المقدم احمد ابن المقدَّم محمد الايعالي طالباً ابن حسين ديب القزلباش ليقتلهُ. فمرَّ بقرية العربة المختصة بدير قزحيا فحرق العماد الذي بها وكان سبعة أقبية يعلوها سبع خزائن وفوقها بيوت فاحترق كل ما كان فيها من الحبوب والنحاس وأواني الفضة والامتعة. وهكذا الدبس والزيت والخمر وغير ذلك مما يساوي قيمة الفي قرش. فحينئذٍ توجّه الرئيس العام الاب توما لبودي الى مدينة طرابلس وعرض الامر الى سعادة الوزير مصطفى باشا فصدر امرهُ بالمرافعة الشَّرعيَّة لدى القاضي مع خصمهِ المذكور. وغب المرافعة والكشف ظهر الحق للرئيس العام. لكن اخيرًا دخل المصلحون فيما بينهما وأُعطي لهُ ثمانمائة قرش

هذا ما كان من تاريخ دير قزحيا قبل قسمة الرهبنة الى حلبية وبلدية لبنانيَّة وكان ذلك سنة ١٧٦٨. واكثر ما تقدَّم من هذا التاريخ منقول عن تاريخ السعيد الذكر المطران جرمانوس فرحات الشهير وقد انتهى من تحريرهِ سنة ١٧٣٢ وهي سنة وفاتهِ

(ستأتي البقيَّة)

حبيس بحيرة قدس

للاب هنري لامنس اليسوعي

سريانية بقلم المعلم رشيد الخوري الشرتوني (تابع لما سبق)

ثمَّ أنهُ بعد قليل أُوصد البـاب وبدأت الحفلة فجيء الى امام الشيوخ الثلاثة الجالسين في صدر الخلوة بشموع جديدة مع ورق وبخان وشيء من الحلب ومبخرة. واذ ذاك قام احد النصيريَّة وكان صاحب البيت واشار الى احد الحاضرين فقام وقبَّل يد الامام ويد النقيب الذي عن يمينهِ والآخر الذي عن شمالهِ وبعد ان وضع يديهِ على صدره خاطب الحاضرين قائلًا:

— الله يمسيكم بالخير يا اسيادي ويصبحكم بالرضا والسعادة هل ترضوني خادماً لكم في هذا العيد المبارك على كيس صاحب العمل الشيخ علي الله يبارك عليه (١

(١) الباكورة

فاجاب كل الجماعة قائلين: نعم

ثمَّ انَّ النصيري الذي رضي بهِ الحاضرون خادماً للعيد قبَّل الارض احتراماً لهم وطاعةً واخذ بيديه من ورق الريحان ففرَّق على الجماعة وهو يتلو الصلاة المسماة عندهم « سطر الريحان » وقد تلاها الحاضرون من بعده واخذوا من ذلك الورق وفركوا بهِ ايديهم وشمّوا وانحتهُ. امَّا عبد الله فعمل بالتدقيق مثلما شاهدهم يعملون

وبعد ذلك اخذ خادم العيد طست ماء والقى فيهِ محلباً وكافوراً وقرأ صلاة عندهم يسمّونها « قدّاس الطيب » ثم سكب على يد الامام قليلاً من الماء المطيَّب وادار الطست على الجماعة فكان كل منهم يأخذ منهُ قليلاً في حفنتهِ ويمسح بهِ وجههُ

ثم انَّ الخادم المذكور تناول المبخرة ووقف قائماً وقرأ الصلاة المعروفة عندهم « بقدّاس البخور » فلمَّا انهاها بخَّر الامام وكل الجالسين على يمينهِ ويساره. وكان عبد الله يراقب ذلك فقال في نفسهِ: حقًّا انهم يفعلون كما نفعل في كنائسنا

ثمَّ انهُ لم يلبث ان زاد عجبهُ من حركة ثانية قام بها خادم العيد فانهُ تناول كأس خمر ووقف قائماً وقرأ صلاة اخرى ومن بعدها ناول الكأس الى الامام وملأ كأسين غيرها وناولها الواحدة للجالس على اليمين والثانية للجالس على اليسار ومن بعد ذلك أديرت كؤوس أخرى على الجلاس الذين كانوا عند تناولها يتبادلون تقبيل الايدي

فلمَّا فرغ خادم العيد من هذا كلهِ عاد فوقف في وسط الفرقة ووضع يديه على صدره وبعد ان طلب المسامحة عن اغلاطهِ وهفواتهِ قبَّل الارض ورجع فجلس في موضعهِ

وهنا تأتي نوبة الامام في الكلام فيسأل الجماعة هل يرضونهُ شيخاً لهم وسيداً ثم يتلو صلاة التبرز ويُلحقها بصلوات اخرى سواها واخيراً بعد ان يمزج الخمر التي في كأسهِ بالخمر التي في كؤوس جيرانهِ يضع شفتيهِ عليها فيمتصّ قليلاً وحينئذٍ يتناول الحاضرون ما في كؤوسهم (١ وهم يترنَّمون باشعارٍ للشيخ محمد بن كلازو:

ذكرتُ زماناً كان لي قبل مبطني ... ففاضت دموعٌ من جفوني بحسرةِ
على طيب أيامٍ تبدَّل عزُّها ... بذلٍّ ومن بعد الأمان بخيفةِ
فكنَّا بدار العزّ في درج العلى ... نسيرُ مع الاملاك في كل روضةِ (٢

وقد طالت هذه الحفلة حتى قريب نصف الليل ومن بعدها أُطفئ قسم من

١) الباكورة ص ٣٦-٤٢

٢) راجع هذه القصيدة في الباكورة (ص ٦٢) وأكثر أبياتها مكسورة

الشموع ورُفعت المبخرة وكؤوس الخمر واتى صاحب البيت بقدر كبير من النحاس عليه ألوان واشكال من الاطعمة والحلويات فتقدّم الحاضرون واخذ كل منهم نصيباً ثم ذهب كلّ واحد في سبيله صامتاً

وارتبك عبد الله وتقنّع في امره ولم يعرف كيف يعمل وحتى لا يعرفهُ احد لفّ ذقنهُ بطرف كوفيّتهِ حتى يختفي قسم من وجههِ وهمّ بالخروج. غير ان الشيخ خضر اشار اليهِ ان يلحق بهِ. اما الراعي فلبى الاشارة وسار طائعاً وهو على يقين بدنو الساعة المحتومة والاجل المبرم. فلما وصل الاثنان الى وسط القرية حيث كانت الشوارع مقفرة من الناس التفت الشيخ خضر الى عبد الله فقال لهُ:

ماذا عملت ايها الجاهل هل سئمت الحياة. اوَ ما تعلم العقاب المعدّ لمن يحاول الاطلاع على اسرار ديانتنا ؟

فاجابهُ عبد الله شارحاً لهُ الاسباب التي ساقتهُ الى الحلوة مثلما تقدّم بيان ذلك فقال الشيخ:

افرح لانك صادقتني بل لانك ايضاً قد سافرت للبحث عن آثار الاب يوحنا الرجل البارّ الذي تجلّهُ وتكرّمهُ كل طائفتنا نظراً لما لهُ علينا جميعاً من الفضل والمعروف. والآن فأحسنُ مشورة استطيع ان ألقنك اياها هي ان تغادر مريمين في الحال دون توقف ولا تردّد فانهُ اذا طلع عليك صبح الغد وانت باقٍ عندنا يعرفك الناس ولا استطيع دفاعاً عنك. واعلم ان غير واحدٍ من جماعتنا قد ارتابوا في امرك لما شاهدوا على وجهك وفي حركاتك من آثار الارتباك وقت اجتماعنا في الحلوة. ومتى عدت الى حصن سليمان اذهب الى الرهبان وقل لهم ان جوسلين نفى الاب يوحنا الى أخربة دير الصليب. ولا تطلب مني مزيد بيان بل اسرع في الهرب

اما عبد الله فما صدّق انهُ نجا من الورطة التي وقع فيها ففرح بخلاصهِ من وجه ومن وجهٍ آخر ادرك الغاية التي اتى من اجلها وهي انهُ عرف المحل الذي حُبس فيهِ الاب يوحنا

واذ ذاك قبّل يدي الشيخ خضر وبادر لمغادرة قرية مريمين وبالنظر الى خفة مشيهِ وحسن معرفتهِ بطرق جبل الحلو وصل صباح اليوم التالي عند طلوع الشمس الى المضيق الواقع غربي عين الشمس وبعد مسيرة ساعة ادرك دير القديسة تقلا فاخبر الرهبان

عن المكان الذي أُبعد اليه الاب يوحنا رئيسهم . فلطّف خبرهُ شيئاً من مرارة حزنهم وتأسفهم

١٥

وكان في دير القديسة تقلا راهب اسمهُ غرمانوس يحب الاب يوحنا محبةً عظيمةً ويقدّر قدر فضائله فلما علم بحبسِ منفاهُ اخذ يرسل اليهِ من مدة الى اخرى بواسطة عبد الله الراعي ما يحتاج اليهِ من القوت مع بعض الكتب حتى يتسلى بها في خلوته الموحشة . وهذا كل ما كان في وسعهِ عملهُ مساعدةً لرئيسهِ المحبوب ومع ذلك فقد كان يفعلهُ تحت ستار الخفية تحترزاً كل الاحتراز من ان يدري مضطهدو الرئيس البارّ بشيء منهُ

امّا عبد الله الراعي فقام بالامر خير قيام ومن ذاك الحين طفق يسوق قطيعهُ الى ناحية دير الصليب واذا لم يقدر في بعض المرّات على الذهاب يكلّف احد اصحابهِ من الرعاة النصيريّة بايصال ما يحملهُ من المآكل الى الاب يوحنا . وكان اذا تشكّت امرأتهُ من تكرر غيبتهِ عن البيت يقول لها : ان الابّ يوحنّا قد اخلص لنا الوداد ولولا وساطته لكنتِ صرتِ الى اسوإ حال فلا يسوغ لك ان تتضجري من اي شيء كان نعملهُ لمساعدتهِ

— انك لتنطق بالصواب فاذهب كلما شئت وابذل ما في امكانك واننا لو اهرقنا آخر نقطة من دمنا في سبيل نجاتهِ لا نقوم الّا بالواجب علينا

ولا نعلم هل درى جوسلين بالمساعدات التي كانت تصل الى الاب يوحنا من وقت الى آخر ؟ او هل رأى ان معيشتهُ في منفاهُ لم تبلغ من المرارة الدرجة التي يشتهيها ؟ بل غاية ما اتّصلت اليهِ معرفتنا هي انهُ في ذات ليلة وفد زمرة من الخيّالة دهموا الاب يوحنا في قلايتهِ بينما كان راقدًا ثم ايقظوهُ بعنفٍ واوكبوهُ حصانًا واخذت الخيل تحضر بهم طول مدّة الليل وقسمًا من صباح اليوم التالي . وكان ذاك الشيخ المسنّ كلما تماهل في المسير بسبب النعاس وشدّة اللغوب يوجّه رفاقهُ من البدو اسنّة رماحهم فينخزون بها ركوبتهُ فتطير بهِ جريًا . وعلى هذه الصورة قطعوا سهل بعرين وناحية الحولة الخصبة وغوطة مرجين الخضلة ونحو الساعة العاشرة من الصباح وصلوا الى خربة التين وهي على طريق العربات المستدّة الآن بين طرابلس وحمص

والى يسارهم على مسافة ساعتين وراء ستر كثيف من الاشجار ثابتة على حواشي النهر العاصي كانت تبين ابراج القلعة ومآذن حمص متلألئة تحت انوار الشمس . وامامهم كان ينبسط سهل " الوعر " تكثر فيه الحجارة السوداء.

وبعد راحة قليلة استأنف الحيالة المذكورون سيرهم ومالوا في سفرهم نحو الشرق متحايدين مدينة حمص . وكان على مسافة عشرة كيلومترات من هذه المدينة بحيرة تدعى بحيرة قدّس (١ وتسمّى اليوم بحيرة قطينة طولها ثمانية عشر كيلومترًا ومتوسّط عرضها اربعة او خمسة كيلومترات وفي جنوبها سهل مكسوّ بالخضرة الناضرة تشقّهُ الجداول والاقنية المتفرّعة من العاصي. وقد برزت في قلب السهل من بين الاشجار والنبات الحفل قنّةٌ تتوّجت بقبة بيضاء على اسم النبي مَند . وقصا السهل سدود يروابي لبنان وجبال عكّار التي تختلف مشاهدها متلوّنة بالازرق او الاحمر الوردي على حسب ساعات النهار وترتفع رؤوسها شامخةً في الجوّ ومتعممةً بالثلوج الدائمة التي تتألق تحت انوار الشمس

وعند ضفّة البحيرة الغربيّة مستنقعات واسعة تأتي اليها قطعان الجواميس فترعى ما بين منابت القصب المرتفعة ولا سكّان الّا في الضفّة الشرقيّة المتكوّنة من تعاقب الأتربة والارياف الصغيرة فانهُ فوق الصخور المطلة على البحيرة او بالقرب من جون هناك مستدير قامت بعض قرًى لها منظر كالح عبوس بما فيها من المنازل الواطية المبنيّة بحجارة بركانيّة سوداء . امّا في القرن الخامس عشر فقد كانت اوفر اناقةً لان غابات الدفلى والرمان والسايح والخلاف وغيرها من الاشجار كانت تزيل بعض الشيء من عبوسة منظرها وجفافه

ففي وسط هذا الاطار اللطيف الناضر الذي تقدّم وصفهُ كانت تتألق مياه البحيرة . وكانت في الجهة الجنوبيّة على مسافة كيلومترين من مصب العاصي فيها جزيرة تدعى تلّ التين اكتست ارضها بالاشجار والنباتات حتى صارت اشبه بطاقة زهور فوق بساط من الماء . وهي بيضيّة الشكل يبلغ طولها نحو ثلاثمائة متر في عرض مئتين تقريباً وفي ناحيتها الغربيّة رابية مخروطة الشكل تغوص قاعدتها في مياه البحيرة وحتى الآن

---

١) ياقوت وابو الفدا.

لا تزال فيها آثار بنايات عتيقة كانت في القرن الخامس عشر محفوظةً بهيئة صالحة لايواء الناس

والسكان على ضفة البحيرة ما برحوا حتى اليوم يأتون هذه الجزيرة فيزرعون فيها بعض النباتات والاشجار والحبوب ويذهبون اليها على جسورة مشدودة بدلًا من القوارب التي كان يتخذها القدماء لهذه الغاية. غير ان اتصالاتهم مع الجزيرة كثيرًا ما يعرض لها التقطُّع لان الريح الغربيَّة التي تمرّ في وادي النهر الكبير تهبّ عامّة السنة تقريبًا كإعصار شديد يثير مياه البحيرة وتشتدّ خاصةً في ايام الصيف فتتعالى الامواج لاطمةً بغير انقطاع لسدّ الجزيرة الشمالي وضفافها

وكانت ضواحي مجيدة قدس في ما خلا ايام العواصف المتقدم بيانها ذات منظر عجيب يسبي الابصار بحسنه لان الالوان تمتزج بالنور امتزاجًا مذهلًا وكل شيء يكتسي بحلة من الغبار الذهبي الدقيق تحت جوّ مشرق ومعتدل معًا فكان لهذا المنظر تأثير بليغ لا يقوى قلم على وصف جماله الباهر. ومن دواعي الاسف ان المبالغة في قطع الغابات والاحراج ذهبت بمثل هذا المشهد الفتّان الساحر للعقول

ولا ريب ان القارئ يتوهّم بعد هذا الوصف ان الجزيرة كانت آهلةً بوجوه باشّة تتنعّم برأى المياه الهادئة البرّاقة وان تلك الضواحي التي تأخذ بمجامع القلب عامرةً بالناس انتفت الهموم من قاربهم وفارقتهم دواعي الغم واسبابه. غير ان ما اتصل بنا من اخبار جزيرة قدس يصوّرها باشنع الهيئات ممثّلًا اياها كسجن ومنفىً تفيض فيه دموع الاحزان وتكثر التنهّدات والهواجس المقلقة. فانّهُ في هذه الجزيرة القفراء ألقى الاب يوحنا ضحيّةً لغضب جوسلين وحقده ومن ذلك الحين انقطعت اخبارهُ وظن الناس انهُ قد مات وكانهم قالوا بان صاحب قصر القليعة هو الذي تسبَّب بموته مضيفًا بذلك اثمًا جديدًا الى سابق فظائعه المنكرة (ستأتي البقيَّة)

التساهل الديني

نظرٌ للاب لويس شيخو اليسوعي

من اعظم آفات العصر التي ابتلانا بها التمدُّن الجديد منذ ربوعه في بلادنا انتهاكُ حرمة الآداب والحرص على حطام الدنيا ولذّاتها. فلمّا رجع في قلب الانسان حبُّ